https://www.facebook.com/MomenAhmedWriter

أزوخين

مؤمن أحمد فاروق

أزوخين

أنا حاتم صبري سلامة طبيب نفسي بارز. هذا بالإضافة إلى أنني أعمل محققًا في القضايا الخارقة للطبيعة. أنا أجوب الأرض، أساعد الناس الذين يحتاجون مساعدتي. أنا أتخلص من الشر أينما وجد.. أنا أقتل الوحوش التي لا تريد أن تعرف عنها أبدًا، حتى تتمكن من النوم ليلًا. أنا د. (حاتم صبري)، وإليك إحدى قصصي.

نشر ذاتي

أزوخين

"بيلختش لختش دينا فايروزخ انتفثاخ يخناه
بيلختش لختش خينيه فايروزخ انتفثاخ فينيه"

كانت سما الفتاة البالغة من العمر عشر سنوات، تقف في غرفة مظلمة باردة تفوح منها رائحة نفاذة قذرة، وعلى ضوء القمر المنبعث من النافذة أبصرت أمامها رجلا ملقى على الأرض وسط بركة من الدماء، رفعت سما يدها إلى فمها لتكتم أنفاسها المتسارعة، ثم تراجعت بضع خطوات، وكادت عيناها تخرج من مقلتيها عندما رأت ذلك الرجل يقف على قدميه، في تلك اللحظة رأته بوضوح، كان رجلا سمينا، ذا لحية سوداء، وكانت رأسه مهشمة، ارتسم على وجهها البريء الرعب والفزع وظلت تتراجع وتتراجع، حتى التصقت بجدار، كان ذلك الرجل ذا الرأس المهشم والثياب الملطخة بدمٍ.. يقترب.. يقترب أكثر، وما أن أصبح أمامها مباشرة حتى قال بصوته الأجش:

- أنا (فيكتور) يا (كاترينا).. تذكرى يا حفيدة (يابيتوس).. لا تدعيهم يحررون (أوزوخين).. تذكري يا (كاترينا).

استيقظت سما من ذلك الكابوس المرعب على صوت والدها وهو يقول:

- لا تخافي يا عزيزتي لا تخافي

ابتلعت سما ريقها بصعوبة ونظرت إلى والدها وقالت:

- أنا....

اتسعت حدقة عينيها، عندما رأت الرجل الذي كان بجوارها في الفراش، نعم كان هو.. كان الرجل الذي بالحلم.. أصبح وجهها كالقطن ناصع البياض من شدة الفزع، وصرخت بقوة حتى شعرت أن حنجرتها سوف تحطم، حاول الرجل ذو الرأس المهشم أن يمسك بها، ولكنها في تلك اللحظة تحديدا استيقظت من الحلم.. نعم يا صديقى/صديقتي كان ذلك الحلم هو حلم داخل حلم، سمعت سما صوت والدها الأستاذ سعيد وهو يقول في فزع

- سما.. ما بكِ يا سما؟

نظرت سما في فزع لترى إن كان هذا حقا هو والدها.. بالفعل كان هو، أسرعت وقفزت إلى حضن والدها بعفوية، وقالت بصوت يتخلّله البكاء:

- أبي لا تتركني أنا خائفة منه

احتضنها والدها.. بيده اليمنى ربت على ظهرها.. وبأنامل يده اليسرى أخذ يسبح بين خصلات شعرها، ثم قال بصوته الحنون الذي يبعث في نفسها الراحة والاطمئنان دائما:

- لا تخافي يا عزيزتي أنا هنا.

في صباح اليوم التالي، دلف سعيد غرفة (سما) فوجدها ما زالت تغط في نومها، اتجه نحو النافذة وفتحها على مصراعيها ليصطدم بأشعة شمس السابعة صباحا التي جعلته يغمض عينيه رغما عنه فرك عينيه بلطف ثم قال:

- هيا يا عزيزتي سوف تتأخرين عن المدرسة.. هيا يا (سما) اليوم هو أول يوم في العام الدراسي.

استيقظت (سما) من نومها، وقامت بتبديل ملابسها، وفجأة وهي تقوم بتمشيط شعرها الأسود للخلف لينسدل على كتفيها، رأت انعكاس صورته في

المرآة، نعم كان هو الرجل ذو الرأس المهشم الذي كان في الحلم، مزقت حلقها سما بصرخة هستيرية طويلة، قال الرجل بصوته الأجش:

- تذكري يا (كاترينا) إنه هو.. إنه الملعون على مر العصور.. تذكري.

- أرجوك لا.. لا تقتلني.. أرجو...

قالتها (سما) *بصوت تهدج* من شدة *البكاء ودموعها* منهمره، ثم وقعت مغشيا عليها. وفى نحو الساعة الخامسة عصراً دق جرس *الباب* ودق قلب أستاذ (سعيد) معه وأسرع يفتح *الباب* بلهفة، *وعندما فتحه* وجد دكتور (حاتم صبري)، وهو طبيب نفسي بارز ، في الثلاثين من عمره، أبيض البشرة، طويل القامة، يرتدي بدلة سوداء، وربطة عنق خمرية. تصافح الرجلان في حرارة، ثم *جلسا* في الصالة *يحتسيان الشاي*. كان (سعيد) يجلس على الأريكة المقابلة الأريكة د. (حاتم صبري)، وكانت ابنته (سما) تجلس بجواره.

- الآن يا (سما) أخبريني بكل ما رأيته.

قالها د. (حاتم) بابتسامته هادئة، *فحكت له* (سما) كل ما جرى لها بالتفصيل.. أصدر د. (حاتم) صوت همهمة، ثم قال في قرارة نفسه:

- تكرار الكابوس، الأرق، الخوف من النوم بسبب الكابوس.. تلك الطفلة مصابة باضطراب الكابوس.

نظر دكتور (حاتم) إلى (سما)، وقال بابتسامة لطيفة:

- حسنا يا عزيزتي اذهبي أنت للعب.

عندما غادرت سما، قال (سعيد) بقلق:

- هل توصلت لشيء يا دكتور؟

هز حاتم رأسه، وقال كلام على غرار:

- تحدث معها على أن هذا الكابوس ليس حقيقي ولا يمكن أن يؤذيها حتى تطمئن.. وفر تدابير الراحة لها.

إلخ . ثم أخرج دفتر التذاكر الطبية وكتب العلاج، وقطع الورقة ودفعها الى (سعيد)، فقال الأخير:

- دكتور هناك شيء لم تحكه سما.

- ما هو؟

- كنت أحضر الطعام لسما وسمعتها تصرخ.. ركضت كي أرى ما الأمر وقبل أن أفتح باب غرفتها سمعتها تقول.. أرجوك لا تقتلني.. في تلك اللحظة قمت بفتح الباب ورأيتها ملقاة على الأرض.

رفع د. (حاتم) حاجبيه فوق عويناته الطبية الأنيقة في دهش، وقال:

- لماذا سما لم تحكِ لي هذا إذا؟

- عندما استيقظت سألتها قالت لي أنها لا تتذكر أن هذا حدث.

- إذا الأمر ليس مقتصرا على الكوابيس فقط.

- نعم يا دكتور أنا حتى بدأت أقتنع أن هناك شبحا يطاردها.

قال دكتور حاتم في تهكم:

- سيدي إنه مجرد ضغط نفسي لا يوجد شيء يودع أشباح.

في تلك اللحظة تحديدا تلاشت الحجرة من حول دكتور حاتم، ووجد نفسه في ممر مظلم، كاد قلبه أن يقفز من بين ضلوعه رعبا وفزعا، وصاح قائلا:

- يا إلهي... أين أنا؟.. هل غفوت أو سقطت في غيبوبة تشبه النعاس؟

(هناك أهوال لا يمكن لعقل بشري أن يدركها.)

لم يستطع (حاتم) معرفة إن كان هذا حلما أم لا.. لكنه بالتأكيد لن يظل واقفا في ذلك الممر المظلم، أخرج قداحة ذهبية، وضغط على زر الإشعال، دنس ضوء القداحة المرتعش قدس الظلام.. سار (حاتم) في ذلك الممر المظلم، كان ضوء القداحة يضيء له ما يسمح له بتحسس موطأ قدمه، تسارعت دقات قلبه، وتلاحقت أنفاسه، وفجأة سقطت منه القداحة في غمرة ارتجافة عندما أحس بشخص ما يقف خلفه، لم ينظر (حاتم) خلفه خوفاً مما سوف يراه، بدأ يتصبب عرقا من رأسه وأنحاء جسده، مرت اللحظات علية كأنها سنوات، لكن لا شيء.. لم يحدث أي شيء.. أقنع (حاتم) نفسه أنها مجرد تهيؤات، ولكن رغم ذلك بقي الخوف موجودا، تحسس الأرض، يميناً، شمالا، أماما، حتى وجد القداحة أخيراً، ثم ضغط على زر الإشعال مرة أخرى، ومع اللهب المنبعث من القداحة رأى كائنا مخيفا، بشعا، ذا عيون حمراء، التفت (حاتم) وركض في الاتجاه المعاكس.. ظل يركض.. ويركض.. ويركض، حتى توقف واستند بيديه على ركبتيه يلهث من فرط التعب والإنهاك، ووجهه يتصبب عرقاً غزيراً، ابتلع (حاتم) ريقه بصعوبة بالغة، ثم *رفع رأسه* فرأى *عدد كبير* من *الغرف المغلقة* على الجانبين، اقترب من *أحد الأبواب*، ثم فتح *الباب* ودخل *ليجد نفسه* وسط *غابة* كثيفة ومتشابكة الأشجار. مشى (د. حاتم) ببطء وحذر *متفادياً* جذوع الأشجار الضخمة التي تتمايل في كل الإتجاهات لتعطي انطباعات غريبة مخيفة، المكان مظلم والذئاب تعوي إلى جانب أصوات أخرى من ضجيج كائنات *مخيفة لا يعلم كنهها إلا الله، ومن وسط الضباب الذي يسود المكان رأى امرأة ورجل* بدين *يركضان، ومن خلفهم مجموعة من الرجال يطاردونهم* بإصرار ككلاب صيد تجري وراء ثعلب بدين وقطة حسناء، *وما هي* إلا *دقائق* حتى تعثر الرجل وسقط أرضا، فحاصره بعض الرجال و*انهالوا عليه* بالضرب *بالهراوات* الغليظة دون أية رحمة.. *يضربونه ويضربونه ويضربونه* حتى تهشم رأسه ومات، بينما كان الرجال الآخرون مستمرون في ملاحقة المرأة. نزع (د. حاتم) نفسه من الذهول وركض خلفهم،

تاركا مسافة كافية بينه وبينهم ليراقب ما سيحدث.. ظلت المرأة تركض و تركض وتتعثر... تسقط مرات عديدة... ثم تنهض لتواصل فرارها من هؤلاء الرجال، كانت تارة تنعطف يمينا و تارة تنعطف شمالا، حتى يصعب اللحاق بها، تركض وتركض وتلتفت خلفها مثل الغزالة التى تحسب المسافة بينها وبين الأسد المفترس، وكاكل غزالة تتعثر وتسقط ارضاً، تحول النهوض والركض مرة أخرى، ولكن ما أن تقف حتى تشعرى بيد تعتصر رقبتك كأفعى، هنا قال صوت عميق مخيف وآمر:

- اتركها.

وبالفعل تركها الرجل، ثم جثا على ركبتيه بخضوع تام مرددا بخشوع:

- أمرك أيها القدير.

ومن وسط الرجال تقدم صاحب الصوت المخيف دافعا الرجال الآخرين بقوة، *وكان ذلك الرجل يرتدي* على رأسه *قلنسوة* سوداء أخفت ملامحه، امسك المرأة من شعرها، ثم *خلع القلنسوة* التي كانت تخفي ملامحه ورمى بردائه إلى الأرض، كان متجهمًا *وملامح* الغضب والشر محفورة على *ملامحه الشيطانية.*

- أين الكتاب يا حفيدة (يابيتوس)؟

- لن يجدى ما تفعله.. لن تستطيع تحرير سيد الجنون من (بُعد الحَيجُور).

ابتسم الرجل ابتسامة شيطانية، ثم احمرّ جلده بشدة وبرز ناباه من فمه، وتحولت عيناه إلى جمرتي نار، وقال:

- لماذا تظنين هذا أيتها الفانية؟!

- لن فتى النبوءة لم يولد بعد.

- الوقت ليس مشكلة بنسبتي لي.. أنا خالد.. أنا لا أموت مثلك أيتها الفانية.. لأن أخبريني.. أين الكتاب الملعون؟

- لن أخبرك أيها المخلوق القبيح.

ارتجفت شفتا المخلوق غضبا أمام هذا التحدى، وعكس صوته كل غضبه ومقته، وهو يقول:

- لقد منحتك أكثر من فرصة أيتها الساحرة ويبدو أنك لم تترك *لي* أية *خيارات*.. ستموتين الآن.

ابتسمت المرأة ابتسامة عابثة ساخرة، وقالت له *بصوت عميق:*

- أنا (كاترينا).. حفيدة (يابيتوس).. لن أمنحك هذا الشرف العظيم!

ثم أخرجت خنجرا صغيرا من ردائها الأسود و ذبحت نفسها، صرخ المخلوق *صرخة جهنمية* كأن القيامة قد قامت:

- لا! لا!*تبا لك أيتها الفانية!تبا لكم جميعا يا أحفاد* (يابيتوس)!

****

ومن لا مكان ظهر أمام (د. حاتم) باب، *اقترب منه بحذر شديد*، وقبل أن يضع يديه عليه فتح *الباب، تسارعت دقات قلبة بعنف، وكاد أن يصاب بنوبة قلبية لولا أن تماسك. كل هذا يبدوا غريبا ومخيفا، ولكنة لن يقف هنا يجب أن يستمر،* هكذا استعاد *رباطة جأشه ودلف الباب* ليجد نفسه في كهف.. الرائحة خانقة رطبة.. وهناك أضواء المشاعل المتراقصة التي تمزق الظلام إلى ألف ظل.. *لا صوت يدل على وجود أحد آخر في هذا المكان المجهول..* وضربات قلبه في صدره تنبض بالخوف والهلع.. والفضول! يا ترى ماذا سيراه الآن؟ يجب أن يعرف.. يجب أن يفهم.. ومهما كان الثمن..

سار (حاتم) فى ذلك الممر المظلم الذى بدا كأنما لا نهاية له، وبعد نص ساعة تقريبا من السير بدأ الظلام يتبدد، ظل يسير ويسير ويسير، حتى وصل الى نهاية الممر ليجد نفسه في قاعة مضاءة بالمشاعل المعلقة على الجدران التي نقش عليها كلمات ونقوش غريبة، لهث (حاتم) من الجهد والتوتر، و بعينين شاردتين أخذ يرمق القاعة امامه، *كانت القاعة مزدحمة* عن آخرها *بأشخاص يرتدون* زيا موحدا شديد *السواد* لا يعكس أية إضاءة، وأمامهم وقف رجل يرتدى مثلهم وعلى رأسه *قلنسوة* سوداء أخفت ملامحه.. يبدو أنه قائدهم، وبجواره *امرأة عارية مضرجة بالدماء مقيدة إلى صخرة بسلاسل حديدية، أشار الرجل لأتباعه، فبَدَوْا بالغناء* بخشوع عجيب:

"بيلختش لختش ديناه فايروزخ انتفثاخ يخناه
بيلختش لختش خينيه فايروزخ انتفثاخ فينيه"

تبكي المرأة بهستريا مخيفة، بينما يتقدم القائد نحوها بهدوء، ويقول:

- تقول النبوءة أنه فى يوم مظلم ما سيجد أحد الفانين الكتاب الملعون، وسيقرأه الصفحة تلو الأخرى حتى يصل *إلى* الصفحة المائة وتسعون، وعندها ستفتح الثغرة بين عالمينا ويكتشف المسكين أنه أحضر إلى عالمة الجنون، وحينها سيبتسم الموت في وجوهكم وأمام (أوزوخين) العظيم تركعون.

هنا جثا الجميع على ركبتيه وغنوا:

"بيلختش لختش دينا فايروزخ انتفثاخ يخناه
بيلختش لختش خينيه فايروزخ انتفثاخ فينيه"
- والآن سنقدم الكربان إلى (أوزوخين) العظيم.

هنا قال (د. حاتم) في قرارة نفسه:

- "نفس صوت المخلوق الذى قتل المرأة الساحرة.. للدقة اقول نفس الصوت، ولكن لم أقل نفس الشخص.. صحيح انه له نفس النظرة الشيطانة، ولكنه ليس نفس الشخص"

بقليل من الخيال فهم (د. حاتم) من هذا الرجل.. بطبع هو نفس المخلوق الذي رآه سابقا، ولكنه يتحكم في إنسان آخر.. البشر ليسوا خالدين لذا يتنقل بين الأجساد ليظل حيا عبر الأجيال. تقدم أحد الرجال وأزال السلاسل التى تقيد المرأة، ثم حملها ووضعها في أحد الوانى العملاقة، ثم انحنى إلى الشيطان الذي أخرج خنجرة، وتقدم نحو المراة وظل يطعن ويطعن ويطعن، حتى امتلأ الإناء بالدماء المختلطة مع الماء، تقدم الرجال واحد تلو الآخر يملأ كاسة من الدماء ويشربة في تلزز مخيف..

هنا ظهر من العدم الباب العجيب، *فتقدم* دكتور (حاتم) نحوه بخطى وئيدة ودفعه. انفتح *الباب* ودخل بحذر. كان هذه المرة فى مستشفى، وأمامه رأى طبيب *يجلس على مكتبه* مُنهمك في قراءة مجموعة من الأوراق التى تخص *المستشفى*، يرتدي عويناته ويتجول بعينيه يمينا ويسارا داخل الأوراق، يقرأ بتركيز تام حتى دهمه صوت طرق *على* الباب.

- تفضل.

قالها وهو يتابع عمله ففتح الباب *ليظهر أمامه رجل* نحيل شاحب الوجهه.

- تفضل بالجلوس.

قالها الطبيب، ثم أشعل غليونه بكل هدوء، وأردف:

- حسنا.. لماذا قتلتها؟

- أقسم مرارًا وتكرارًا، أنني لم أقتلها! أنني لم أقتل أحدا!

- إن لم تكن أنت، فَمَن؟

- كيان شيطاني أراد جسدي وروحي.. وعندما رفضت وقاومت.. قتل زوجتى.

ابتسم الطبيب ابتسامة مليئة بالسخرية، فقال الرجل النحيل صارخا:

- أنا لست مجنونا يا دكتور، أنا عاقل، هل تفهم!

قال الطبيب ببرود تام:

- بطبع.. بطبع.

ثم سحب نفسا من الغليون ونفثه في سحابة من الدخان وأردف:

- أكمل.

- أنا فقط يا دكتور مهتم بالسحر الأسود لأقصى الحدود و...

قالها الرجل النحيل ثم صمت طويل، فقال الطبيب يحثه على الحديث:

- وما علاقة هذا بمقتل زوجتك.. أكمل كي أستطيع مساعدتك.

- لقد كنت مهووسًا بمعرفة أسرار ما وراء الطبيعة ووسائل الاتصال بعالم الأرواح.. قرأت كل أساطير القدماء وجميع كتب السحر واللعنات القديمة.. كنت مثل أي باحث عن المعرفة، إلى أن جاء اليوم الذي عثرت فيه على الكتاب الملعون.. الكتاب الذى يحتوي بداخله أحد أخطر أسرار الكون.. فى الحقيقة لم يكن الكتاب الأصلي، بل كان نسخة تم محو الكثير منها.

سكت الرجل النحيل قليلا كي يبتلع ريقه، ثم أكمل على عجل خشية أن يقاطعه الطبيب:

- ولكن على كل حال كانت تلك النسخة فيها قصص كثيرة وحقائق مثيرة وطقوس مخيفة، لم يكن الكتاب مكتوبا باللغة الانجليزية أو الصينية أو اليابانية.. فى الحقيقة لم يكن مكتوبا بى لغة عرفها البشر.. لكن ولسبب ما – لم أعرفه ساعتها – استطعت أن أقرأه، ولقد عرفت منه أشياء كثيرة تفوق حدود الإدراك البشري.

- حسنا، وماذا عرفت؟

- قبل ملايين السنين من ظهور البشر، كانت هناك مخلوقات مخيفة تعيش على هذه الأرض..

قاطعة الطبيب بملل واضح على محياه:

- اه اه.. تقصد الديناصورات، *أليس كذلك* ؟.

ابتسم الرجل النحيل *وأجاب*:

- لا.. ليست الديناصورات.. *تلك المخلوقات التي أقصدها* هم سبب انقراض الديناصورات.

ضحك الطبيب ضحكة عصبية جافة وقال:

- أكمل.

- *كانت تلك المخلوقات العظيمة من الأوائل الذين عاشوا على سطح الأرض في عصور ساحقة ووجدوا قبل أن نوجد نحن.. و*في أحد الأيام قررت تلك المخلوقات الخروج من كوكب الأرض واكتشاف باقي مجرات هذا الكون العظيم، وبالفعل ظلوا خارج الأرض فترة طويلة جدا، وعندما عادوا للأرض وجدونا.. وجدوا البشر.. كان بعضهم *عمالقة*.. وبعضهم في حجمنا لكنهم اقوى منا بكثير.. لقد *استعبدونا*، وبالظلم *حكمونا*، حتى جاء اليوم الذى *قرر* فيه أحد الرجال *الوقوف أمامهم*، ولما كان هذا الرجل *يملك قوى* عاتية مع معرفة نادرة، بدأت بعض المخلوقات يركعون أمامه فى ذل وخضوع، وبطبع لم يعجب هذا حاكم تلك المخلوقات والذي كان يدعى *(أوزوخين)؛ فأمر أتباعه* بقتل ذلك الرجل.

صمت الرجل النحيل *قليلا ليسترد أنفاسه* وعاود حديثه قائلا :

- أخذت آلاف المخلوقات في الدوران حول ذلك الرجل، وأنشأوا ينظرون له بعينهم الحمراء *المتوهجة* و يزمجرون بغضب وخوف، متوترين منه ومن ذلك الكتاب الذي يحمله، وفجأة بدأ الرجل *بتلاوة تعويذة ما*، وتصاعد دخان أحمر

قاتم من جسده كخيط من دخان، وبعد لحظات ظهرت فى السماء فجوات كثيرة تشبه الثقوب السوداء، وبدأت تجذب المخلوقات نحوها، ثم قامت بنقلهم *إلى أماكن غير معلومة*.

هز الطبيب رأسه في وقار ، *ونفث دخان غليونه*، وهو*يقول* :

- عظيم.. هذا عظيم.

- كان هذا الرجل اسمه (يابيتوس) ولقد أعطاه الكتاب الملعون *قوة سحرية* هائلة، وبسبب تلك القوة معظم المخلوقات المحبوسة فى تلك الأبعاد الغير معلومة غير مدركين لوجود العالم البشري على الإطلاق.

- كل هذا جميل، ولكن ما علاقة هذا بمقتل زوجتك؟!

- القصة لم تنتهي بعد.

- لم تنتهي بعد!

- نعم

- حسنا، اكمل.

- تم حبس جميع المخلوقات *ما عدا* مخلوق واحد استطاع الفرار.. وهو يحاول جاهدا تحرير باقي قومة.. ومن حين لآخر ينجح في تحرير احدهم.. وهذا المخلوق طلب مساعدتي فى البحث عن الكتاب الأصلي، ولما رفضت قتل زوجتى.

- لماذا اختارك أنت تحديداً؟!

- لأني حفيد (يابيتوس).

قال الطبيب وهو في حالة ذهول:

- قصة عجيبة حقا.. لكنها صعبة التصديق.

- أنت على حق انها صعبة التصديق لكنها الحقيقة الوحيدة في هذا الكون.

بعدما أنهى الرجل النحيل *كلماته* ظهر من العدم الباب العجيب *مرة أخرى*، اقترب (د. حاتم) بحذر من الباب، ثم أدار مقبض الباب بكل هدوء، ثم زج برأسه في الغرفة فرأى (سما) وهي ملتصقة بجدار وهناك رجل مهشم الرأس ومغطاة بالدماء يقف أمامها ويقول:

- أنا (فيكتور) يا (كاترينا).. تذكرى يا حفيدة (يابيتوس).. لا تدعيهم يحررون (أوزوخين).. تذكري يا (كاترينا).

كان ذلك الرجل مألوفا له، أنه بالتأكيد الرجل الذى قتل في الغابة، جال (حاتم) بنظرة في أنحاء الغرفة، فرأى امرأة غارقة في بركة من الدماء، كانت المرأة أيضا مألوفة.. أنها (كاترينا)..

استيقظ حاتم على صوت أستاذ (سعيد)، وهو يقول:

- دكتور! ماذا حدث لك؟ إن كنت ستموت فأرجوك لا تموت هنا.

- لا تقلق يا سيدي.. أنا بخير.

- ماذا حدث لك؟!

- لا تقلق مجرد إغماعة.. أين سما؟

- نائمة في غرفتها.

- حسنا.. سوف أطمئن عليها.

دلف (حاتم) إلى غرفت (سما) فوجدها على السرير تحتضن "دبدوبها" الكبير بفزع والعرق يتصبب من جسدها كاملا، دنا منها ثم ربت على كتفها واحتضنها بين ذراعيه، ثم همس:

- لماذا ترتجفين هكذا؟ إهدائي.

- لقد رأيت نفس الحلم.. ولكن هذه المرة.. هذه المرة كنت أنت هناك.

وقف (د. حاتم) مذعورا مبهورا للحظات، ثم أطرق برأسه، واستعاد رباطة جأشه، وقال بهدوء:

- عزيزتي.. مهما رأيتِ تذكر دائماً أن هذا غير حقيقى.. هذا مجرد كابوس.

رفع رأسها بكفه ليلمح الدموع تنساب على صفحة وجهها، فأردف قائلا:

- أنه مجرد كابوس يا (سما).. اتفقنا.

هزت (سما) رأسها ببطء قبل أن تقول بصوت مرتجف:

- اتفقنا.

وصل (حاتم) منزله في *تمام الساعة* العاشرة ليلا، تثاءب بكسل بعد يوم طويل شاق، *وارتمى على السرير* دون أن يبدل ثيابه، ثم أخرج من جيبه علبة سجائر وأشعل سيجارة، وأخذ يسبح بمخيلته، شارًا *متأملاً ظلام* الحجارة، يفكر في هذا الأمر برمته من البداية.

التناسخ!! تعتقد بعض الحيانات أن عندما يموت الإنسان وتفارق روحه جسده، تذهب الروح إلى جسد طفل جديد في مرحلة الجنين ثم تأخذ دورتها في الحياة مرة أخرى.. أنا لا أؤمن بتلك الفكرة، ولكن.. ولكن هي التفسير الوحيد لما يحدث، ثم كيف دخلتْ حلم (سما).. وهل ما رأيته حقيقى أم مجرد أضغاث أحلام.. حقا أنا لا أفهم.

كان حاتم يجلس في فراشه والأفكار والأسئلة تدور في ذهنه مثل خلية من النحل أثارتها يد غريبة، إلى أن غلبه النوم فرأى في *ما يرى النائم* أنه وسط *صحراء قفر مترامية الأطراف*، وشمس حمراء بلون الدم، وهواء شديد، ومن بعيد ظهرت قلعة عاليا كأنها تصل إلى السماء. وقف مشدوها وتسمر في مكانه كأنه استحل إلى تمثال من رخام، قبل أن يقتحم مجال رؤيته بغتة هذا

الشيء المهول الذي برز في *السماء* أعلى القلعة واندفع باتجاهه هابطا بسرعة *مخيفة*، وقبل أن يحاول عقله استيعاب *ما رآه، كان ذلك الكيان أمامه مباشرة، وفجأة بدأ حجمه يكبر ويكبر*، حتى سد الأفق، كان ذلك الكيان جلده أحمر، وله قرنان عظميان متآكلان تتصاعد منهما النيران، أما عن ملامحه فلا يمكن وصف بشاعتها أو تحملها..

انتفضت الدماء فى عروق (د.حاتم) خوفاً، واصفر وجهه اصفرار وجه الميت، ولكنه تظاهر كما لو كان سيد نفسه وسيد الموقف في حين أن قلبه كان قد تغير ميزان دقاته. قال الكيان المخيف بصوت كهزيم الرعد:

- *أتشعر بالخوف* يا حفيد (بابيتوس).

هنا تفاجأ (حاتم) من كلمات ذلك الكيان، ولكنه أخرج من *جيبه علبة سجائره* ليأخذ واحدة منها، أرجع *العلبة* داخل *جيبه ليخرج* يده مرة أخرى معلقا بها قداحته الذهبية، واضعًا طرف *السيجارة* بين شفتيه وهو يشعلها، بينما يداه تحتويان المساحة ما بين شعلة النار ورأس السيجارة.

- لا! لا أشعر بالخوف.

قالها (حاتم) ساخرا لأنه يعرف يقينا أن ذلك الكيان لن يستطيع أخيته، مهما كان ما يراه الآن فهو مُجرّد حُلم، لكابوس سوف يستيقظ منه قبل أن يفكر ذلك الشئ بدهسه. اقترب الكيان منه وابتسم ابتسامة شيطانية، فأردف (حاتم) بهدوء وهو ينفث دخان سيجارته في الهواء:

- من أنت؟! أو بمعنى أصح.. ما أنت؟!

اتسعت عيونه الأربع، وقال:

- أنا (أوزوخين) العظيم سيد الجنون.

- آه، أنت حاكم تلك المخلوقات.

- أيها اللعين لقد طال انتظارنا لك لقرون عديدة كي تبحث عن الكتاب الملعون وتحررنا وتصحح خطأ جدك اللعين.

- لا!! لن أفعل.

- الأمر ليس بيدك أيها الفاني.

تطلع إليه (حاتم) *والسيجارة بين شفتيه* وعينه اليسرى تنغلق من دخانها، ثم قال وهو ينفث حلقات من الدخان في الهواء:

- آه، حقا ! حسنا، سوف أجد الكتاب، ولكن لن احرر مخلوق قبيح مثلك إلى عالمي، بل سوف أحرق الكتاب حتى لا يكون هناك سبيل لتحريركم.

- لن تظل الثغرات مغلقة إلى الأبد.. الحواجز بين عالما ستلتقي من جديد وستسمح لنا بالعبور.

- لن تتمكن من العودة ابدا.

- بل سأعود.. وحينها.. ستكون نهايتك.

- *أنا آسف على إفساد متعتك عليك، لكن* حينها سأكون ميتا.

صمت الكيان الشيطاني للحظات محملقا بحاتم قبل أن يلعق شفتيه فاتحا فمه القبيح الذي يبدو بلا نهاية وتلك الأسنان الحادة المتراصة بلا أدنى ترتيب، ثم قال:

- أنت لي يا (حاتم).. عد إلى عالمك ولنا لقاء قريب يا حفيد (يابيتوس).

وهب (حاتم) من نومه فزعا والعرق يتصبب من جبينه، صدره يعلو ويهبط وجسده يرتجف، تأمل قليلا الساعة التي تشير إلى الحادية عشرة وتسعه وخمسين دقيقة، ثم همس بحروف متقطعة وصوت متهدج:

- ال.. الحمدلله .

مرت عدة أيام لم يكن هناك أي أخبار عن سما، ولكن في صباح يوم الأربعاء اتصل أستاذ (سعيد)، وقال:

- أود أن أطمئنك على حالة (سما) بما أنك طبيبها الخاص.

- هل هى بخير؟

- نعم، والفضل يعود لك.. لقد نفذت ما طلبته مني بالحرف الواحد، وبعد عدة أيام تحسنت حالة (سما) تماما.

أغلق (حاتم) الخط، وتنهد بارتياح، وقال في قرارة نفسه:

- إذا هي نهاية سعيدة إلى حدا ما، ولكن هل سوف تدوم طويلا.. أتمنى هذا.. أما عن الطفلة فأتمنى أن لا تشعر بضياع عندما تتذكر حياتها السابقة.. أرجو ألا تتعلق بماضيها.. يجب أن تعيش حاضرها لتتمكن من عيش حياةٍ طبيعية لا ممزقة.. إن تذكرت يجب أن تتناسى لأن هذا هو الحل الأفضل.